العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"دور ثقافة أفراد المجتمع في الحد من انتشار وباء كورونا"

(دراسة أنثروبولوجية لمدينة إربد)

إعداد الباحث:

علاء الدين محمود عبابنة

باحث ماجستير – الإنثروبولوجيا الإجتماعية

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – أيار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع ثقافة أفراد المجتمع ودورها في الحد من انتشار وباء كورونا،كأحد الموضوعات الأنثروبولوجية الثقافية التي تهتم بالجانب الثقافي لدى المجتمعات المحلية،و يهدف إلى بيان الدور الذي تحتلهُ ثقافة الأفراد والجماعات في النسق الاجتماعي للتعامل مع المخاطر والأزمات في حالة وباء كورونا.

وقد أعتمد الباحث على الطرق الأنثروبولوجية في جمع البيانات باعتماده المنهجية الأثنوغرافية باستخدام أداة الملاحظة و مراقبة الميدان البحثي بطريقة منتظمة و تم تعزيز نتائج ملاحظته بما كشفته وسائل الأعلام الرسمية و الأخبار الإلكترونية الموثوقة و مجريات الواقع في المجتمع المبحوث .

حاول البحث تحديد دور الثقافة المجتمعية و ثقافة الأفراد لمساعدة و تعزيز دور الحكومة و طواقمها للتعامل مع أزمة وباء كورونا المستجد في مدينة إربد.

و قد تلخص البحث بعدد من النتائج أهمها : أن ثقافة أفراد المجتمع و تقيدهم بالتعليمات تلعب دورا فاعلا في الحد من المخاطر و التعامل مع الأزمات، وأنه هناك جدل بين فئات المجتمع بمصدر تلك الأوبئة و يعود ذلك للثقافة التي تطرح في الأيديولوجية الفكرية لدى أفراد المجتمع كما لخص البحث الى أن هناك ثقافة راسبة و ممارسات اجتماعية زادت من عُمر مقاومة انتشار هذا الوباء و الحد منه،وان العامل الثقافي و الممارسات الاجتماعية التي وجب الحد منها كالاحتفالات كمراسم الزواج خاصة في ظل الأزمة واستخدام الواسطة و المحسوبية و استخدام الوضع الاجتماعي و عدم الافصاح عن الاصابة بالوباء كلها تعود الى أبعاد ثقافية للأفراد ،هذه الثقافات و الممارسات الثقافية و في ظل أزمة كورونا المستجد زادت من التحدي المجتمعي و زادت من عمر هذا الوباء بالرغم من الجهود الكثيفة التي بذلت من الحكومة الأردنية في مواجهة هذا الوباء من بداية ظهوره في المملكة ،الا أنها اصطدمت بالأبعاد الثقافية للأفراد على كل المستويات .

الكلمات المفتاحية : الثقافة، كورونا–19، مدينة إربد.

المقدمة :

يلتقي الوباء بوصفه خللاً يصيب الأفراد ليتعدى في التأثير على جوانب المجتمع الوظيفية ليعطلها أو يؤثر على طبيعة سيرها الطبيعية، ولأنّ الثقافة و التي نبعت عن تراكم في المعتقدات و القيم و العادات للأفراد فإنها تلعب دوراً أساسياً في تعامل المجتمع

و أفرادهُ مع الظواهر الطارئة التي قد تصيب البيئة المجتمعية فتكشف بذلك مدى تأثير ثقافة الأفراد على قدرتنا على تجاوز المحن والأزمات.

يُعتبر وباء كورونا المستجد والذي أخذ بالانتشار الواسع في الدول والذي كان أول ظهور له في مدينة ووهان الصينية وأخذ ينتشر في أغلب الدول في العالم،فكأننا نعيش العولمة اليوم من جانب آخر وهي عولمة البيئة الصحية في مجتمع عالمي واحد أشبة ما يكو بقرية كونية صغيرة متقاربة.

لقد اهتم علم الأنثروبولوجيا في دراسة الأمراض وكشف عن كثير من الأمراض التي سادت في حقب زمنية قديمة و حققت في الأوبئة والأمراض التي كانت سارية في عصور سالفة وسحيقة ،كما اهتم في الممارسات العلاجية القديمة على بعض الأمراض التي كانت تجتاح المجتمعات الإنسانية القديمة ، كما اتجه أيضا للتحقيق في ثقافات الشعوب و نظرتهم إلى المرض وممارسات علاجه و معتقداتهم.

وإن اهتمام الأنثروبولوجيا بقضايا الصحة و المرض وعلاقتهما بثقافة المجتمع السائدة اهتمام حديث نسبيا، والسبب في ذلك هو انتشار أفكار بعض الفلاسفة منذ زمن طويل، واعتقاد الناس من خلالها على إن ظواهر الصحة والمرض هي ظواهر عالمية مشتركة، مما أدى إلى انتفاء الخصوصية المحلية أو الثقافية لقضايا الصحة والمرض، و قضايا الطب بصورة عامة، ولكن مع بداية القرن العشرين بدأ الاهتمام من قبل الأنثربولوجيين يزداد بقضايا الطب، والجانب الصحي وعلاقته بالنماذج الثقافية، والأنماط الاجتماعية السائدة في المجتمع , وهكذا ستظل الثقافة محور اهتمام ودراسات علمية متتالية، لما لها من أهمية كبرى في حياة الإنسان، ولما تمتلكه من تأثير في شتى قراراته وأساليب عيشه، ونظرته وتفكيره في هذا الكون، فالإنسان في أصله ليس ذلك الكائن البيولوجي أو الفيزيقي، وإنما هو ذلك الكائن الثقافي، فالكائنات البشرية هي كائنات ثقافية بالدرجة الأولى(إبراهيم والشنواني , 1992).

و في دراستنا هذه كدراسة انثروبولوجية تهتم بالجانب الثقافي لدى المجتمع في التعامل مع أزمة عالمية صحية حقيقية ،عانت منها دول كبيرة و ذات إمكانيات متقدمة في المجال الطبي و الصحي و الصناعي ،حيث أننا في الأردن البلد الصغير و ذات الإمكانيات المحدودة أخذت الإصابات بازدياد نتيجة قدوم بعض ممن يحملون فيروس كورونا و القادمين من دول مجاورة أو القادمين من دول أجنبية قد تفشى بها الوباء .

وترتكز الأنثروبولوجية على دراسة أثر الثقافة على الصحة والمرض وذلك من خلال مساهمة الثقافة في صناعة تمثلات الصحة والمرض لدى الفرد وطرق الوقاية والعلاج من الأمراض , وتعمل على تحديد طريقة انتشار المرض وطريقة الحد من انتشاره , كما تعمل على ترسيخ القناعات لدى الأفراد من جدوى الطب الحديث وبالتالي التحكم في مدى استجابة الفرد ودرجة تفاعله مع الأساليب الطبية الحديثة , وإبراز مفهوم المرض والاستجابة له , فما يعتبر مرض في ثقافة اجتماعية ما قد لا يكون كذلك بالنسبة لجماعة أخرى, فالصحة والمرض مرتبطان بأنماط الحياة وإعادة إنتاجها والحفاظ عليها، أو فقدانها وتسعى الأبحاث والدراسات الانثروبولوجية

للكشف عن نظرة الناس وطريقة إدراكهم لعالمهم وكذلك العلاقة بين الصحة وحدوث المرض،وخصائص الأنساق والقيم الاجتماعية، وبذلك يمكننا القول أن الانثروبولوجيا الطبية ليست مجرد طريقة للنظر والتأمل في حالات الصحة والمرض في المجتمع، ولكن يمكننا القول أنها طريقة للنظر والتأمل في المجتمع ذاته(Good Byron ,1998) .

إنّ الثقافة تلعب دورا هاماً في التعامل مع نسق الحياة بشكل عام و مع الطارئ بشكل خاص و الذي يمكن أن يسبب الحدث الطارئ تغيراً كبيراً في المجتمعات الإنسانية ، لقد امتد هذا الخطر الطارئ عبر مسافات جغرافية واسعة قاطعاً الدول و القارات ووجب علينا تداركه بسرعة ،وخاصة وأن مجتمعنا وأفراده وبسبب الكم المعقد من ثقافته ظهرت جوانب قصور وخلل في استيعاب الأمر و التعامل معه ظهرت واضحة في الخروقات الثقافية لبعض أفراده منذ ظهور الوباء في الأردن إلى لحظات متقدمة في انتشاره ،وخاصة لما تشير له التقارير الصحية من سرعة انتشار هذا الوباء العالمي،فتدارك الأمر رأس القيادة في المملكة وإيلاء مركز إدارة الأزمات التهيؤ لهذا الطارئ و إدارته لحظة بلحظة.

مشكلة الدراسة :

لقد تعود الأفراد في المجتمع على طبيعة ثقافية معينه من الصعوبة تغييرها بين ليلة وضحاها، ففي المجتمع يتعود الفرد على كثير من الممارسات الثقافية و التي تحمل طابع التعامل مع الأحداث المحيطة نتيجة الثقافة المترسخة حيث أن العامل الثقافي ناتج من مزيج من العوامل التاريخية و التي عكست القيم و الاتجاهات و العادات و التقاليد و حتى العلاقات بين العناصر في النسق الاجتماعي المحيط.

هناك خروقات أودت إلى زيادة انتشار وتسجيل إصابات جديدة لوباء كورونا في المجتمع،إنّ الاستهتار بالتعليمات الحكومية و التي بُثت يوميا على منابر الإعلام الرسمي و في المواقع الالكترونية و في الإذاعات لضرورة توخي الحذر في التعامل مع هذا الوباء ،وكانت إجراءات الدولة حازمة بإغلاق أماكن التجمعات والاختلاط ،و تنظيم سير الحياة و فرض حظر التجول وإعلان قوانين الدفاع على مراحل في ظل تأزم الوضع حفاظاً على سلامة المواطنين و حصر الوباء.

إلا أنّ الثقافة و التي تلعب دورا أساسيا في سلوك الأفراد في المجتمع ، أخذت تلعب دوراً هاما ويجب تسليط الضوء عليها و إبرازها في الحد من انتشار هذا الوباء العالمي و التعامل مع الأزمة ،وليس غريب بعض الطرح من استخدام ممارسات ثقافية راسبة في العمق و مازالت تلعب دورا في الفعل المجتمعي كالواسطة و المحسوبية و التي تدخل في ثقافة المجتمع في تعاملاتنا، كذلك عدم التقيد و الاستهتار بالتعليمات نتيجة الوضع الاجتماعي ، و عدم الإفصاح عن إصابتنا الحقيقية و إخفاء المعلومات و المضي في مخالطة الآخرين ليتضح الأمر بعد حين بنشر الوباء بين أفراد مخالطين، حيث أنّ كل هذه التجاوزات قد فرضت علينا واقعا بزيادة انتشار الوباء و زيادة عدد الإصابات و أن المسؤولية الاجتماعية الذاتية التي لم تكن بالحد المطلوب لدى بعض الأفراد أحرجت الجميع و عملت على تذمر مجتمعي لما يحيطهم من عوامل نفسية ترغمهم في استمرار حظر التجول و الحد من الحركة و البقاء بالبيوت بسبب

عدم التزام البعض بالإجراءات و القوانين التي وضعتها الدولة و التوصيات الصحية. من هنا يرى الباحث أنّ مشكلة الدراسة تنحصر في الأبعاد الثقافية في التعامل مع الوباء و هي أبعاد مهمة جدا في الحد من انتشار هذا الوباء العالمي المستجد و الطارئ .

أسئلة الدراسة :

تتكون أسئلة الدراسة من سؤالين :

- ما دور ثقافة الأفراد في مجتمع مدينة إربد للحد من انتشار وباء كورونا ؟
- ما دور الممارسات الثقافية لدى افراد العينة و علاقتها بالحد من انتشار الوباء ؟

أهمية الدراسة :

- تعتبر هذه الدراسة من الدراسات المهمة و التي تعود لدراسات في الحقل الأنثروبولوجيا الثقافية التي تهتم في جانب الانثروبولوجيا الطبية والتي تسلط الضوء على العامل الثقافي كعامل مهم جداً في الحد من انتشار الأوبئة .
- من الدراسات القليلة والتي تتقاطع بين الدراسات الثقافية و الدراسات الطبية و دور ثقافة الأفراد في التعامل مع الطارئ و ما يلعبه العامل الثقافي في المجتمع في موضوع التعامل مع الأمراض و الأوبئة.
- أهمية علمية و تعتبر مرجع من مراجع الأبحاث التي تهتم في الثقافة كعامل في التعامل مع هذه الحالة الطارئة و التي اعتبرت ازمة على مستوى الدول.

أهداف الدراسة :

- تهدف الدراسة إلى بيان دور الثقافة المجتمعية لدى أفراد المجتمع في الحد و القضاء على هذا الوباء العالمي المستجد.
- تهدف الدراسة إلى معرفة الظروف الثقافية المحيطة والتي ساهمت في التعامل مع هذا الحدث الطارئ في حالة وباء كورونا .
- تهدف الدراسة إلى الوصول إلى نتائج علمية دقيقة تفيد الباحثين و تسلط الضوء على الثقافات الايجابية و السلبية،و كيفية الوعي المجتمعي و السلوك الثقافي يعزز الدور الحكومي و العاملين في القطاعات الصحية في محاربة هذا الوباء العالمي الذي لم يحصر على مكان نشوءه بل تعداها في الانتشار لدول كثيرة و سجلت منظمة الصحة العالمية إعدادا تزيد بشكل لحظي في كثير من البلدان حول العالم .
- تسعى الدراسة الى الخروج ببعض التوصيات في ما يخص الموضوع البحثي و هو يعتبر من المواضيع الطارئة في هذا الوقت الذي نمر به .

حدود الدراسة :

الحدود المكانية : مدينة اربد ،شمال الملكة الأردنية الهاشمية .

الحد الزماني : خلال الفترة من 2020/3/14 إلى2020/4/10 م .

الحدود البشرية : أفراد مجتمع مدينة إربد (تسليط الضوء على ثقافات هذه العينة في التعامل مع الحدث الطارئ في ظل أزمة كورونا– 19 المستجدة).

مصطلحات الدراسة :

الثقافة : لعل من أقدمها وأكثرها شمولاً هو تعريف إدوارد تايلور حيث عرّف الثقافة بأنها ذلك المفهوم الكلي الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون، والعادات والقدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع (E. Taylor , 1871).

وباء كورونا : فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للإنسان و الحيوان، و فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى للجهاز التنفسي التي المعروف أن عددا منها تسبب من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة السارس، ويسبب فيروس كورونا المكتشف مؤخرا مرض فيروس كورونا كوفيد– 19 .(www.unrwa.org/).

مدينة إربد : و تعرف إجرائيا على أنها محافظة من محافظات المملكة الأردنية الهاشمية ، و تقع شمال الأردن على بعد 71 كيلو متر من العاصمة عمان ،و يبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات عام 2017 م بنحو مليون و نصف مواطن .

الإطار النظري :

تلعب الثقافة دورا مهما في تحديد مفاهيم المرض ودلالاته وفي أساليب التعامل معه من الناحية الوقائية أوالعلاجية، يعتبر المرض مفهوما نسبيا يختلف من ثقافة إلى أخرى ويرتبط بالنسق الثقافي السائد في نطاق المجتمعات التقليدية ويرتبط بالعلم في نطاق المجتمعات الحديثة، و تدلّ الكثير من المرجعيات على أنّه كلما كانت الثقافة بدائية ومتخلفة كلما كانت أساليب تشخيص المرض وتحديد أسبابه وطرق التّعامل معه متخلفة، الأمر الذي ينتج عنه تدنّي المستوى الصحي لأفراد المجتمع فأساليب الوقاية من المرض وأساليب الغذاء والحمل والولادة والكساء وأساليب العمل والإنتاج كلّها مؤطرة بثقافة المجتمع من عادات وتقاليد وأعراف وقيم لها انعكاساتها على الوضع الصحي للفرد والجماعة(Dorothea , 1960) .

و هذا ما تم ملاحظته في المجتمع المبحوث من وجود جدل بين فئتين و حتى على جميع المستويات بين من ينسب المرض إلى غيبيات و إلى من ينسبه إلى تفسير علمي حديث ، على الرغم بأننا نؤمن إيمانا مطلقا بأنّ كل شيء مسير و بإرادة الله تعالى و لكن الله وضع لكل شيء سببا .

إنّ تصورات المرض وانتقاله تختلف من مجتمع إلى آخر ،ومن حضارة إلى أخرى و بني على أساس التأويلات و التخمينات و في بعض الاثنيات الدينية يعتبر المرض عقاباً إلهيا ، ومن الأفراد من يفسر المرض أو الوباء بناءا على أسس منهجية و علمية و يحاول ردعه عنه و عن المحيطين به، و يستخدم جميع الاحتياطات لمواجهة هذا الوباء ، و كل هذا يعود إلى البنية الثقافية المتولدة لدى الأفراد .

لقد ساد الشك في الاعتقاد الجدلي بين أفراد المجتمع في النظر الى هذا الوباء الذي أخذ بالانتشار السريع ، فمنهم من فسره على أنه عقاب الهي و خارج الحدود البشرية ، و منهم من فسره بالطريقة البيولوجية و التتبع لتاريخ اكتشافه عبر السنوات السابقة ، و هذا الجدل الحاصل يعود الى ثقافة الأفراد و ما تحمله من ايدولوجية فكرية و ثقافة علمية و تعود الى أسباب و أبعاد كثيرة ، إلاّ أنه في النهاية يبقى مواجهته و الأنتباه و الحذر و التعامل السليم و التقيد بتوجيهات الأخصائيين الذي يحمل المعرفة و الوعي الجمعي و ما ترشده تعليمات الحكومة أمر لا بد من تهيئة المجتمع و بطريقة ديناميكية ذاتية لتجاوز هذه المحنة المجتمعية .

ترى صافي (2018) أن ثنائية الصحة والمرض من المواضيع التي أهتم بها العلماء والأطباء ماضيا وحاضرا، وقد أسهم الأنثروبولوجيون في هذا المجال من منظورهم المرتكز أساسا على البعد الثقافي الذي يبقى المحور الرئيسي لكلّ الدراسات الأنثروبولوجية .و أن اهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة وتحليل مكونات الأنساق الثقافية للمجتمعات الإنسانية وكيفية مساهمة هذه الأخيرة في تشكيل وصياغة معاني وتمثلات كلّ من الصحة والمرض.

كما أشار تقرير لمنظمة افريك(2017)إلى أن الثقافة قد تمثل مشكلة في مواجهة المخاطر الطبيعية، كما يمكن أن تساهم في تعزيز جهود الحد من مخاطر الكوارث كما يقدّم إرشادات حول كيفية دمج الثقافة في إجراءات التأهب لمواجهة الكوارث والتخفيف من آثارها، ولا سيما في ظل تغير المناخ و العوامل الطبيعية الأخرى،وقد لخص التقرير إلا انه قد يُكتب النجاح لإجراءات الحد من مخاطر الكوارث اذا تمكنا من استيعاب الكوارث ثقافياً وأضاف التقرير أنه من المهم أن نضيف الثقافة إلى السياسة والاقتصاد والعوامل

الاجتماعية للأسباب الثلاثة الأساسية التالية: حيث قد تحول معتقدات الناس دون الحد من مخاطر الكوارث، كما يمكن أن تدعم الثقافة إجراءات الحد من مخاطر الكوارث والتكيف معها، كما تشكل الثقافة جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية،ويرى هذا التقرير أن الثقافة مرتبطة بالتكيف مع تغير المناخ قدر ارتباطها بالحد من مخاطر الكوارث، لأن كليهما ينطوي على إدراك الناس للخطر وما ستتبعه من سلوك.

و في تقرير آخر السعايدة (اذار، 2020) حيث أشارت إلى الإجراءات الوقائية و التوعية في المجتمع المدرسي على طلاب المدارس ،حيث أن ما يراه الطلاب و الأطفال يعتبر تقليدا للكبار و إتباعا للتعليمات التي يتم توجيههم بها من قبل المربين سوآءا في المدرسة و البيت ،و قد أشارت إلى وباء كورونا و الذي يحتل مساحة واسعة في حديث الناس عنهُ في هذه الأيام ،فهو جائحة ووباء عالمي أخذت القنوات الفضائية و شبكات التواصل الاجتماعي و الجلسات العائلة و الأصدقاء ، و كما أشارت إلى ضرورة نشر الثقافة الوقائية و يجب أن تستمر هذه التعليمات و تترسخ على المدى البعيد .كما أشارت إلى أن هذا الحدث الطارئ و الوباء الذي أخذ بالانتشار عالميا يحتاج أي تكاتف مجتمعي على كثير من الصعد ،و التوعية الضرورية باشتراك هيئة التدريس في المدارس مع الكوادر الصحية و المختصين في المدارس الحكومية و الخاصة .و قد ركزت في تقريرها على عدد من المقابلات مع أهاليالطلبة و فيها إجراءات المدارس بعقد اجتماعات توعوية و طرق التعامل المجتمعي في الحد من انتشاره و الوقاية منه ، و لخصت إلى أهمية مراعاة الجانب الصحي للأطفال في ظل ما قد يسببه من تغير في طبيعة الحياة الاعتيادية.

و في تقرير اخر لمنظمة افريك (2014) بعنوان : العلاقة بين الثقافة و المخاطر حيث أشار التقرير إلى المعتقدات التي تؤمن بها الشعوب عندما تلم بهم أزمة أو كارثة ، فقد ضرب عدد من الأمثلة منها إعصار كاترينا في الولايات المتحدة سنة 2005 ،حيث ظن بعض السياسيون و بعض المتضررين على أنه غضب الهي لكثرة ذنوب نيو أورلينز ،وألقى بعض اليابانيين باللوم على الآلهة حين باغتهم زلزال وتسونامي سنة 2011، أما في إفريقيا الغربية، حيث ينفجر بركان جبل الكاميرون كل بضع سنوات، فقد أفاد أحد المسؤولين بتصريح عكس ما يدور بخلد العديد من الناس حين قال: "عندما يغضب إله الجبل تثور البراكين." وفي شتى أنحاء العالم، تستند مواجهة الأشخاص للمخاطر إلى الثقافة جزئياً .و كان سؤال التقرير لماذا يتصدى الناس للمخاطر على هذا النحو ، و قد هدف التقرير إلى تمكين المنظمات المختصة في الحد من المخاطر والتكيف مع تغير المناخ من سبر أغوار الثقافات. فهو بمثابة "تقرير للتوعية" في جزء منه ويرمي إلى تشجيع المختصين والمنظمات على إيلاء اهتمام أكبر للاعتبارات الثقافية.

و كذلك تقرير عبد العاطي محمد(2020/3/14) بعنوان : علاقة الثقافة بالهلع العالمي من كوروناحيث أشار التقرير إلى أن من البديهي أن تخشى الشعوب على حياتها، ولذلك تشعر بالهلع كلما تعرضت لكوارث صحية أو بيئية، ومع انتشار فيروس كورونا المتجدد أو كوفيد – 19، أظهرت الحكومات وكذلك منظمة الصحة العالمية قدرا عاليا من التحرك للحد من الانتشار والبحث عن لقاح وعلاج للطور الجديد والذي ينتابه الغموض من هذا الفيروس.

كماأشار التقرير إن ما لا يمكن إغفاله هو أن المواجهة لها جوانبها الثقافية المتعلقة بالشعوب، مثلما لها جوانب أخرى تتعلق بالقدرات المادية المختلفة والسياسات التي يتم اتخاذها من جانب الحكومات والجهات الدولية المختصة.

كما دعى إلى لفت الانتباه لأهمية العامل الثقافي في متابعة ردود الفعل المختلفة على انتشار «كورونا»، والبحث تحديدا فيما نعتبره تقصيرا من الناحية الثقافية على مستوى العالم بوجه عام دون تحميل طرف ما المسؤولية عن حالة الهلع التي عمت الجميع، هو أن المواجهة هذه المرة قياسا على حالات سابقة هزت العالم تعلقت بظهور أشكال أخرى من الفيروسات الخطيرة.

لقد بدأ الاهتمام بقضايا الصحة بعد ظهور الأمراض العضوية منها والاجتماعية والتي فرضت على الإنسان الاتجاه إلى الصحة سواء وقائيا أو علاجيا لأنّه أصبح بحاجة إلى الصحة للابتعاد عن شبح المرض والموت لأن الحاجة أم الاختراع وشعور الإنسان بالصحة يجب أن يكون في جميع ما يتعلق بالإنسان من قضايا مباشرة ومنظورة أو قضايا خفية غير منظورة وباكتمال جميع النواحي الجسمية أو الجسدية، العقلية أو الفكرية، الفيزيولوجية والنفسية الاجتماعية والسوسيولوجية .إذ تبحث الأنثروبولوجيا الطبية في أسس التربية الصحية التي تقوم على القيم الاجتماعية المعطاة لمفاهيم الحياة، والمرض، والموت، وفي اختلاف التصورات المحددة لهذه المفاهيم بتباين المجتمعات والظروف التاريخية التي يشهدها كل مجتمع، بحيث تتصل في قسم كبير بثقافة المجتمع وتاريخه وحضارته وخصائصه المجتمعية؛و مفهوم التربية الصحية , يرتبط بمفهوم التربية العامة وبتصورات المجتمع لمسائل الحياة والمرض والموت والصحة بأبعادها النفسية والاجتماعية والجسدية، كما تتعلق مبادئ التربية الصحية بالجو السائد وبالوعي الاجتماعي وبطبيعة المؤسسات الصحية الاجتماعية . (مصطفى و هندومة ، 2001)

ولقد أشار علماء الأنثروبولوجيا الذين درسوا الجوانب السوسيوثقافية لثنائية الصحة والمرض أن المعتقدات والممارسات المرتبطة بالمرض تعد سمة أساسية لأية ثقافة إنسانية، وأن القيم والأعراف المرتبطة بالمرض جزءا لا يتجزأ من الثقافة الأوسع ، ولا يمكن

دراستها بمعزل عنها فقد أصبح فهم السياق الثقافي للصحة والمرض أمرا معترفا بأهميته الحيوية نظرا للعلاقة المعقدة التي تقوم بين الرعاية الصحية وأنماط الحياة وسلوكيات الناس وتوقعاتهم من حيث أسباب المرض والوقاية منه، وهذا ما جعل للأنثروبولوجيا الطبية دورا في إنجاح التنمية الصحية للمجتمعات فمعرفة مضمون الثقافة لأي مجتمع يوفر إمكانية التنبؤ والاستشراف العقلاني لمجريات الأحداث فالمسار السوسيوثقافي لثنائية الصحة والمرض يتأثر بالمضمون الثقافي للمجتمع. (صافي ،2018)

طرق و إجراءات الدراسة :

يخضع هذا البحث لمناهج الأبحاث الأنثروبولوجية الاجتماعية و التي تأخذ الجانب الثقافي كمحور أساسي وتبعاً لطبيعةِ الدراسة و التي تُركز أساسها على رصد الملاحظات من العمل الميداني و ما يلمسه الباحث من سلوكيات ثقافية إيجابية أو سلبية أثرت على سير إجراءات الحد من انتشار الوباء و تفاعلاته الثقافية و الاجتماعية،كما عُمل على تتبع الأخبار وتسجيل الملاحظات والتحقق منها و تدوينها.وتتبع الاخبار الرسمية من مصادرها الموثوقة و تسجيل تفاعلات المجتمع مع هذه الأخبار و الى مقدار تعامل الأفراد في المجتمع المبحوث مع هذا الوباء خلال الأزمة ، حيث و من بدايات ظهورها في المجتمع المبحوث بتاريخ 2020/3/16 الى 2020/4/10 م .

أولا : ثقافة المجتمع باتجاه الأوبئة و الأمراض :

إنّ الخلفية الثقافية للأفراد لها تأثير هام على مظاهر حياة الأفراد بما في ذلك معتقداتهم و سلوكياتهم و مواقفهم اتجاه المرض و الألم ، و كل التخمينات التي لها علاقة بالصحة ، و هذه الثقافة المجتمعة تحدد كثير من التوجهات و القيم و المواقف لتحدد سلوكيات الأفراد باتجاه ما يحتويهم من ظروف محيطه يتفاعلون معها .

هناك العديد من السلوكيات التي يجب التركيز عليها ، وهذه السلوكيات الناتجة عن أفراد من المجتمع و انفعالات دون إدراك لكنها تكشف في الحقيقة على ثقافة بنيوية أثرت على سلوكياتهم في التعامل مع هذا الوباء ، فعندما تعترض إحدى الفتيات على قرار الحجر عند عودتها ووصولها المطار ، رغم أن الحجر عبارة عن فعل احترازي للتأكد من سلامتها و خلوها من وباء كورونا ،و رغم أنّلا علاقة للتحصيل العلمي في ردت الفعل ، و تحاول أن ترجع في تفاعلها اللاإرادي الى ثقافة الواسطة ،عندما انتشر على شبكات

التواصل الاجتماعي بـ " خلي بابا يدخل " ، و ما رأينا و سجلنا ملاحظات على أن عدد من المحجورين كيف أنهم قللوا من قيمة هذا العمل و كيف أنهم تفاجئوا به و شهروا به على شبكات التواصل الاجتماعي ، لتلعب الثقافة المجتمعية لدى عدد من الأفراد بنظرتهم إلى المرض أو الوباء و تحدد سلوكهم الذي كان ظاهرا لدى الجميع .

إنّ الخلفية الثقافية التي يحملها الفرد تؤثر على سلوكه ، و لكن في تجربتنا في منطقة الدراسة لم يؤثر السلوك على الفرد فقط ، بل أثر على كثير من الأشخاص المقربين منه ، و يتكرر المشهد انتشار العدوى مع طبيب قادم من اسبانيا ، لم يحجر نفسه و ينقل العدوى إلى المقربين منه ، و إلى بيئة العمل ، و نكرر ذلك مع أصدقاء و الأقارب لعرس اربد من الذين شاركوا في العرس و رغم أن منهم و من الذين تم نقل العدوى لهم في القطاع الصحي لينقلوا العدوى إلى بيئة العمل المهنية والاجتماعية و التي دون إدراك من خلال ممارسة الأفعال فإن اختلاط المصاب و خاصة مع فيروس كورونا و الذي ينتقل بسرعة كبيرة ،ليسبب ألماً اجتماعيا متجددا في كل مره ترتفع فيها عدد الإصابات في مجتمع مدينة اربد نتيجة السلوكيات الثقافية اللاواعية و الواعية منها.

إن العلاقة وثيقة جداً بين الصحة و المرض و والثقافة، فمن خلال الكثير من البرامج الطبية ومخططات الرعاية الصحية لا يهمل المتخصصون تأثير العناصر الثقافية، والنسق الثقافي للمجتمع على الناحية الصحية للأفراد، وإن القيم الثقافية المتصلة بتنظيم الحياة الأسرية وأساليب العمل والترويح، وقضاء أوقات الفراغ هي الأخرى لها تأثير في تحديد أنواع الأمراض والوفيات، فلو نظرنا إلى الإنسان الساكن في البيئات الصناعية، تأثر بطبيعة البيئة التي يسكنها، ذلك أن هذا النوع من البيئات سببا رئيسيا في إصابة الأفراد ببعض الأمراض، فمثلا نجد أن أمراض القلب أكثر انتشارا بين نموذج الشخصية السائدة في الثقافة الغربية، فهذا الأخير يحيا حياة المنافسة القوية، والاستغلال الشديد للوقت، إضافة إلى انتشار أساليب الحيل، والعداوات المختلفة(مختار , 2014) .

كما أن العلاقة بين الأطر الثقافية، والجوانب الصحية وثيقة جداً ، وهناك تأثير متبادل بين الحالة الصحية والمنظومة القيمية السائدة في المجتمع، وقد تتعدد الأنماط الثقافية، وتختلف مكونات المنظومة القيمية داخل المجتمع الواحد، خاصة في مجتمعاتنا النامية، حيث نجد البيئة الريفية وحياة القرية والمدينة، فالنمط الثقافي داخل كل بيئة من البيئات السابقة له دور في صناعة رؤى وتمثلات حول الحالة أو الجانب الصحي، ولا شك أن أي برنامج صحي يسعى لتطوير الأنماط الثقافية وفق ما يتناسب وطبيعة البناء الاجتماعي، وبالتالي الثقافة التقليدية ولا بد من الاستغلال السليم لهذه الأنماط، ذلك أنها تشكل عادات وقيم الأفراد منذ نشأتهم، كما يستلزم على أي

تخطيط للرعاية الصحية النظر إلى طبيعة حياة أية جماعة أو مجتمع من جانب بساطتها أو تعقيدها، وقياس حياتها الاقتصادية، بين القوة أو التدهور، ومعرفة درجة الوعي الصحي المنتشرة بين الأهالي، كل هذا من أجل ضمان نجاح برامج الرعاية الصحية(المكاوي , دون تاريخ)

ثانيا : دور العلاقات الاجتماعية في زيادة انتشار الوباء بين أفراد المجتمع :

من خلال التتبع لمرض كورونا في منطقة الدراسة فإنّ مجمل حالات العدوى التي سجلت هي لأفراد تحمل صفة العلاقة الاجتماعية ، حيث ترغم العلاقات الاجتماعية و القرائبية في المجتمع من فرصة حدوث انتقال العدوى ، حيث أن من الحالات التي انتشر بها العدوى بالوباء مع أفراد العائلة الواحدة ، و كذلك مع مجتمع لأفراد المهنة الواحدة ، و هذا ما يجعلنا نؤكد إلا أن العلاقات الاجتماعية و الممارسات الثقافية التي تتخللها تلك العلاقات لها دور كبير في زيادة نسبة الإصابات و إنتشار الوباء لفيروس كورونا ،و هذا ما تؤكده ملاحظة الباحث بوجود نسبة كانت من أسباب بداية الوباء في منطقة الدراسة و هي انتقال العدوى من والد العروس في منطقة اربد و منه إلى ابنته ،و لم يختصر الأمر إلى ذلك الحد بل استمرت ممارسات الثقافية و ما تحتمها العلاقة الأجتماعيةو عدم التقيد بالتعليمات و بالحجر الصحي ليزداد الأمر سوءا ، و لأنّ نظرة بعض الافراد للمرض بأنه يقلل من قدرته العضوية و النفسية فإن البعض أخذ يبتعد عن اجراءات الفحص و هذا يعود الى ثقافته و نظرته لاعتبارات المرض و الوباء كأعتبارها وصمة مجتمعية قد تقلل من شأنهِ .

ويمكن الحديث أيضا عن منهج آخر هيمن على الدراسات الطبية الأنثروبولوجية وهو ما يسمى ب Sickness of Anthropology وهو منهج يركز على دور العلاقات الاجتماعية في إنتاج نماذج المرض، ويميز هذا المنهج أيضا بين مفاهيم ال sickness, Disease Illness and من خلال اعتباره أن مفهوم ال Sickness ما هو إلا العملية التي من خلالها يتم تعريف السلوك المقلق تجاه المرض وكذلك العلاقات البيولوجية الدالة على المرض وتأصله بحقيقته الاجتماعية، حيث تصنع الأعراض الدالة على علاقات المرض من خلال مخرجات اجتماعية (الحسبان وآخرون , 2005).

وبالتالي أثر فيروس الكورونا على البعد الاجتماعي وبشكل خاص على منظومة العادات والتقاليد والممارسات المجتمعية السائدة في ظل جملة الحزم والتدابير الوقائية والإجراءات التي اتخذتها الحكومة للحد من انتشار المرض بين السكان، خصوصا تلك المتعلقة

بوقف التجمعات الاجتماعية مثل مناسبات الأعراس والعزاء، ليطرح اليوم واقعا اجتماعيا جديدا في مجتمع اعتاد على حضور هذه المناسبات كأحد التعبيرات الاجتماعية في التزامه المجتمعي والقبلي حتى أصبح جزءا من عقيدته الاجتماعية وارتبط بحسه الفطري وطبيعته الذاتية ووفائه بحقوق مجتمعه ونوع من عقد الوفاء والاحترام الذي يربط أبناء المجتمع بعضهم ببعض، ومع ما يمكن أن يثار حول ذلك من تكهنات بمستقبل التعاطي المجتمعي مع هذه القيم والثقافة المجتمعية في ظل روابط الرحم ووشائح القربى من أثرها في زيادة مستوى التباعد الاجتماعي وتكوين حالة من عدم الرضا بهذا السلوك أو قبول التعاطي معه وانعكاساته على مسار العلاقات الاجتماعية.

وتُعد الأوبئة من الخبرات الاجتماعية التي تترك تأثيرات طويلة المدى، وتظل انعكاساتها لسنوات، وقد تساهم في تطوير أو تغيير الملامح الاجتماعية للدول، خاصة مع زخم التفاعلات التي تصاحب فترة وجود الوباء. وعلى الرغم من أن الأزمة الحالية التي يمر بها العالم تأتي في سياق مغاير تمامًا للأزمات المشابهة التاريخية، حيث تلعب الحلول التكنولوجية عاملًا في ظهور حلول مبتكرة، وتلعب وسائل التواصل الاجتماعي عاملًا مركبًا آخر بين نشر الوعي والشائعات وتخفيف حدة "التباعد الاجتماعي" الذي يطبق حاليًا؛ فإن الفترة القادمة سوف تشهد ظهور سلوكيات وتوجهات جديدة استجابة للوضع الحالي(الحفناوي , 2020).

وبسبب ضغوطات الحياة المتزايدة، تراجع حضور النشاطات الفنية أو الثقافية جماعيا، وبات خيار حضور فيلم أو مسرحية عبر الإنترنت والاسترخاء فوق أريكة في المنزل الأكثر جاذبية, كما تراجعت الزيارات الاجتماعية في الأعياد والمناسبات الخاصة، وإن حدثت بشكل نادر، ستكتشف أن الزوار يغرقون طوال فترة الزيارة في هواتفهم، كما يفعلون في المطعم أو المقهى، الذي يتجمعون فيه كحضور فيزيائي مكتظ، لكن لا حوارا يدور بينهم، كل منهم في شرنقته مستغرقا في عالم هاتفه الكوني، شأنهم شأن أفراد العائلة الواحدة الذين أصابتهم هذه العدوى بدورهم، تشاركهم هواتفهم وجباتهم على مائدة الطعام، أو جلسة الاسترخاء في غرفة المعيشة، يتبادلون الرسائل بين الأرائك في الغرفة الواحدة، أو بين غرف المنزل، كحل أكثر راحة من التواصل المباشر, يغرق هذا العالم في عزلته أكثر وأكثر منذ سنوات، إن شفي من وباء كورونا، يبدو شفاؤه بعيد المنال من وباء العزلة الحقيقية المتضخمة، رغم كل شعارات التقارب والتواصل، الافتراضية.(www.alhurra.com)

مناقشة نتائج الدراسة :

من خلال ما تم اعتماده من ملاحظة الباحث و تفسيره و طرح بعض الأمثلة للواقع الثقافي ، وحول ربط ثقافة الأفراد ودورها في مواجهة وباء كورونا المستجد ، و الذي تم انتشاره في دول عديدة و أخذ يحصد الأرواح بإحصائيات يومية منذ اكتشافه و أخذت رقعة هذا الوباء بالانتشار و كانت البداية من مدينة ووهان الصينية .

إن معظم الإصابات التي انتشرت في المجتمع المبحوث كانت من قادمين من الدول الموبوءة حسب ما صرحت به وسائل الإعلام الرسمية و الإحصائيات المتعلقة بهذا الوباء .وإن عدم تقيد أفراد هذه العينة من المصابين بالتعليمات و طرق الحجر الصحي، فإن ثقافة هذه الجماعة وممارساتها أخذت نحوا سلبياًو نقلت العدوى الى اخرين، و نشير هنا إلى الممارسة الثقافية بالأعراس و انتقال العدوى بالجملة لعدد من المخالطين .

إخفاء العدوى أو عدم الرضوخ للفحص و الانتقال إلى مجتمع المهنة جعل الأمر يزداد سوءا و لم يفصحوا عن إصابتهم و يعود ذلك لثقافة أن المرض يقلل من المكانة و قيمة سيطرة الإنسان على حياته الاعتيادية ، و هذه المفاهيم الخاطئة أودت بالجهود الكبيرة التي بذلتها طواقم إدارة الأزمة بالوباء .

كما أن استخدام المكانة الاجتماعية ورواسب الثقافة السلبية الخاطئة كالواسطة و المحسوبية ، أثرت على مجريات حظر التجول و الحجر الصحي و ضجت شبكات التواصل الاجتماعي بالتذمر و شكلت رأيا عاما له صداه، و أنّ عدم تقيد بعض أفراد المجتمع بالتباعد الاجتماعي ،و غيرها من ممارسات الصحة العامة و الابتعاد عن الأشخاص المشكوك بأمر إصابتهم أدت إلى دور كبير في زيادة الفترة الزمنية في الحد من انتشار الوباء .

على الرغم أن تركيز الأخبار و الملاحظات كانت على عينة المصابين و طرق انتقال العدوى ،الا أن عندما توازى اجراءات تنفيذ القانون مع ثقافة الأفراد الذاتية و إحساسهم بالخطر بدأ المجتمع يتقيد بنسبة كبيرة جدا ،من حيث التعاطي مع الحياة اليومية و الألتزام و هذا يعكس نتائج انحصار الوباء مع ايام الحظر ،و يدل ذلك على الجهود الحكومية و متابعة القيادة الهاشمية لمجريات الأمور على أرض الواقع ، و أن الوعي الجمعي أخذ بالانتشار في المجتمع و أفراده.

التوصيات :

- إجراء العديد من الدراسات و التي تخص علم الإنسان الانثروبولوجيا من الناحية الثقافية ، لان البعد الثقافي يلعب دورا محوريا في الاستجابة لكثير من الأمور الحياتية و خاصة الطارئة منها .
- ضرورة وجود المختص الصحي (الطبي) مع عالم الانثروبولوجيا في منابر التوعية المجتمعية ، لان المخاطب من خلال القنوات هم متعددي الثقافات و البيئات و الخطاب يجب أن يكون مناسبا لجميع العقول الثقافية حتى ترمي بهدفها المنشود داخل المجتمع.
- تفعيل القانون بالتوازي مع تنمية الثقافة الذاتية في التعامل مع الأزمة و عدم السماح للخروقات كاستخدام ثقافة الواسطة و المحسوبية ،و الوضع الاجتماعي لتجاوزهم تعليمات الدولة حتى تتحقق العدالة الاجتماعية حتى في وقت الأزمة .
- ضرورة اعتماد برامج ثقافية تغير من ثقافة المجتمع و خاصة عند التعامل مع الأزمات ، حتى تتعمم مسألة الوعي الجمعي ، لأن الوعي الجمعي يرغم الافراد على اتباع سلوك المجتمع.
- ضرورة وضع خطط مستقبلية لكيفية التعامل الثقافي مع الأزمات تكون متوازية مع خطط الطوارئ في مواجهة الأوبئة أو الحروب أو الكوارث الطبيعية لا قدر الله .

المراجع العربية :

الحسبان , عبد الحكيم و العتوم , ميسون و الشناق , محمد .(2005).الأنماط العلاجية في منطقة جرش : دراسة أنثروبولوجية ميدانية , أبحاث اليرموك , سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية , المجلد 22 , العدد 2 .

الحفناوي , هالة.(2020). سيكولوجية الأوبئة : ماذا يحدث للمجتمعات عند تعرضها لوباء مفاجئ , المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة .

رحاب ،مختار.(2014). الصحة و المرض و علاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع ،مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ،العدد 15.

صافي ،سميرة .(2018). ثنائية المرض و الصحة من منظور انثروبولوجي ،بحث منشور ،مجلة الباحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية ،العدد 35 ،سبتمبر.

علي محمد المكاوي.(دون تاريخ) . الأنثروبولوجيا الطبية، دراسات نظرية وبحوث ميدانية، دار النصر للتوزيع والنشر، جامعة القاهرة.

فتحية محمد إبراهيم، ومصطفى حمدي الشنواني.(1992). مدخل لدراسة الأنثربولوجيا المعرفية، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية.

مصطفى, إبراهيم , و هندومة , محمد .(2001). مقدمة في الأنثروبولوجيا الطبية , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية.

المراجع الأجنبية :

Dorothea Leighton(1960), Anthropology of Medicine, in Encyclopedia of Bioethics ,Vol.3,New York :A division of Macmillan Publishing Co,p1105.

Helman, Cecil G. (2000) Culture, Health And Illness, Fourth Edition, Butter Worth Heinemann, Oxford.

Good Byron : (1998) Comment Faire de L'anthropologiemédicale ? Médecine ,rationalité et vécutraduise par Sylvettegleise ,institutSynthélabopour le progrès de la science ,le plessisrobinson,p 79

Helman, Cecil G. (2000) Culture, Health And Illness, Fourth Edition, Butter Worth Heinemann, Oxford.

المواقع الإلكترونية :

https://www.alhurra.com/differentangle/2020/03/07/%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B2%D9%84%D8%A9

http://www.unrwa.org/

https://www.ifrc.org/ar/publications-and-reports/world-disasters-report/world-disasters-report-2014/world-disasters-report-2014--chapter-7/

https://alghad.com/%D9%83%D9%8A%D9

https://www.ifrc.org/ar/publications-and-reports/world-disasters-report/world-disasters-report-2014/world-disasters-report-2014--chapter-1/

https://www.omandaily.om/?p=774398